بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة
في حديثه عن الخصوصيات الزوجية
والممارسات الجنسية

د. رشيد منصور الصباحـي
أستاذ التفسير المساعد – كليـة الآداب
قسم الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن
جامعة إب

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة في حديثه عن الخصوصيات الزوجية والممارسات الجنسية

تمهيد : جعل الله كلامه – القرآن الكريم – معجزة للخلق أجمعين إلى قيام الساعة لما فيه من فصاحة وبلاغة ، شهد لها المؤمنون والمشركون وعجزوا عن مجاراتها ، وتوالت الدراسات القرآنية لكتاب الله ، لكشف ما فيه من أحكام وإعجاز وهدي وبينات للناس ، بل لتأكيد ما فيه من إحكام وإتقان وإبداع وبيان .

وإذا كان السابقون والمعاصرون الذين أفنوا أعمارهم في دراسة القرآن العظيم قد كشفوا كثيراً من وجوه إعجازات القرآن البيانية والغيبية والتاريخية والتشريعية وغيرها ، فإن لكتاب الله سمةً خاصة في التعبير القرآني عن القضايا التي يتناولها ، لا يتذوقها إلا من استغرق في نصوصه وآياته ، بكل مشاعره وأحاسيسه ، بقلبه وعقله ، متدبراً ما فيه من آيات بالغات بليغات ، (وما يعقلها إلا العالمون)[1] .

ولهذا فلا عجب أن يصف الوليد بن المغيرة كتاب الله بعد أن فكر وقدر ، قائلاً : ((والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه ..))[2] .

وهذه الحلاوة يتذوقها كل من عاش مع القرآن في القرآن كله ، ومن ذلك حديث القرآن عن أخص خصوصيات العلاقة الزوجية والممارسات الجنسية ، حيث عرض كلام الله لذلك وتناوله بطريقة عالية رفيعة عفيفة راقية ، تبلِّغ المقصود وتبلغ الأفهام، وتحكم الأحكام ، دون أن تثير الغرائز الجنسية ، ودون أن تهبط بآيات الله عن مستواها الرفيع بطريقة تمجها الأسماع ، أو تنفر منها الفطر السليمة ، والقلوب الصافية ، وهذا ما نشرحه بالتفصيل في هذا البحث .

المبحث الأول : تعريفات ومصطلحات :

المطلب الأول : المقصود ببلاغة القرآن

أولاً : ـ المقصود بالبلاغة لغة واصطلاحاً :-

البلاغة لغة من البلاغ ، وهو الوصول إلى المراد ، والبلاغ مايُتوصل به إلى الشيء ويُنتهي إليه ، والبلاغة الفصاحة ، وفلان بليغ أي حسن الكلام ، وفصيحه ، يبلغ بعبارة لسانه كُنه ما في قلبه[٣] .

أما البلاغة اصطلاحاً فتعني : مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، أي الأمر الداعي إلى التكلم[٤] ، وهي التعبير عن المعنى الصحيح لما طابقه من اللفظ الرائق من غير مزيد على المقصد ، ولا انتقاص عنه في البيان[٥] .

أما القرآن فهو كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، المكتوب في المصاحف ، المنقول إلينا بالتواتر ، بلا شبهة[٦] ، المبدوء بالفاتحة ، المختوم بالناس.

وبناءً على ما سبق فالمقصود ببلاغة القرآن : فصاحته وحُسن تعبيره عن الشيء الذي يتناوله .

المطلب الثاني : المقصود بآداب القرآن الرفيعة

أولاً : المقصود بالآداب لغة واصطلاحاً :

الآداب لغة جمع أدب ، والأدب هو حُسْن التناول للشيء ، وأصل الأَدْب الدعاء، ومنه يقال للوليمة مأدبة بالفتح والضم لأن الناس يدعون إليها ، ...

ويقال للبعير إذا ذلل أديب ومؤدب[٧].

والأدب اصطلاحاً هو : علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً أو كتابه[٨]، وله أصول .

أما المقصود بالرفيعة لغة فهي مأخوذة من الرفع وهو ضد الوضع ، ونقيض الخفض، وارتفع الشيء أي علا ، والرفعة نقيض الذلة ، والرفعة خلاف الضعة ، والرفيع الشريف ، والمرفوع المعظم[٩] .

وبناء على ما سبق فالمقصود بآداب القرآن الرفيعة أي علو عباراته وعظمتها معنى ومبنى في تناولها للشيء.

المطلب الثالث : المقصود بالخصوصيات الزوجية :-

خص لغة بمعنى أفرد ، وخصصه واختصه أفرده ، به دون غيره ، واختص بالأمر انفرد به[١٠]، وخصوصيات جمع خصوصية ، التاء للمبالغة ، والياء للنسبة ، أو مصدرية[١١] .

أما الزوجية لغة : مشتقة من زوج ، وهو خلاف الفرد ، والزوج الإثنان ، والزوج الفرد الذي له قرين ، ويطلق على الذكر والأنثى[١٢] .

وبناءً على ما سبق فالمقصود بالخصوصيات الزوجية أي ما انفرد به الزوجان الذكر والأنثى دون غيرهما من نكاح ونحوه .

المطلب الرابع : المقصود بالممارسات الجنسية :

الممارسة لغة من مَرَسَ ، والمرْس السير الدائم ، وله معاني أخرى ، والمرس والمراس الممارسة وشدة العلاج[١٣] .

واصطلاحاً : المداومة وكثرة الانشغال بالشيء[١٤].

أما الجنسية لغة فهي مؤنث الجنس ، ومشتقه منه ، والجنس هو الضرب من كل شيء ، وهو أعم من النوع ، ويجمع على أجناس وجنوس ، وهو لفظ يدل على الكثرة تضمناً[١٥] ... والجنس الخشن أي الرجال ، والجنس الناعم أو اللطيف أي النساء[١٦]، والجنسية لها معان أخرى[١٧].

أما الجنسية اصطلاحاً فتعنى المتعلقة بجنس الذكور وجنس الإناث بشكل عام ، أو التي تعني الاتصال الشهواني بين الذكر والأنثى[١٨] ، أو بين المثليين ذكر مع ذكر ، وأنثى مع أنثى.

والأفلام الجنسية أي التي تغرق في عرض المشاهد الجنسية والعورات التي تفرق الذكر عن الأنثى[١٩].

وبناءً على ما سبق فيمكن تعريف الممارسات الجنسية بأنها :

الاتصالات الجنسية المتكررة سواء بين الذكور والإناث ، أو بين الذكور مع بعضهم البعض ، أو بين الإناث مع بعضهن البعض .

إذا يمكن تعريف عنوان البحث :

(بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة في حديثه عن الخصوصيات الزوجية والممارسات الجنسية).

بأن المقصود به هو :

بلوغ القرآن مراده ومنتهاه في حديثه عن نكاح الزوجين ، والاتصالات الجنسية بين غيرهما ، بأفصح العبارات وأعلاها وأجملها مبنى ومعنى ، وبأشرف التعبيرات وأحسنها ، دون خلل في الكلام بزيادة أو نقصان ، ودون خدش للحياء أو إسفاف في التعبير .

وهذا ما نشرحه بالتفصيل في المباحث التالية :

المبحث الثاني : بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة في حديثه عن الخصوصيات الزوجية:-

لم تكن الخصوصيات الزوجية بين الزوجين بمنأى عن بلاغة القرآن وفصاحته وعلو عباراته وروعتها – كما هو منهج القرآن في كل آياته – والمتأمل لآيات القرآن المتعلقة بذلك يجد منهجاً خاصاً اتخذه القرآن الكريم في التعبير عن الخصوصيات الزوجية ، والتوجيه ، والوعظ ، والتنبيه ، والتحذير ، والأمر والنهي ، والتحليل والتحريم ، والندب ، والحث على فعل شيء معين ، والدفع إليه والمنع منه ، وكل ما يتعلق بخصوصيات الزوجين المستورة عن أعين الناس ، وكما أن الله تعالى قد أمر بستر العورات ، وحجب كل الممارسات المتعلقة بها بين الزوجين وهو الستير سبحانه ، فإنه قد اتخذ نفس النهج في التعبير عن ذلك ، فأخفى وحجب وستر ووارى وجمل كل العبارات التي تشرح العمليات أو الممارسات الخاصة بين الزوجين ، إمعاناً في الستر ، وتأدباً في العرض ، وتفنناً في البيان.

وحتى يتضح هذا الأمر رأى الباحث تقسم هذا المبحث إلى المطلبين التاليين :

المطلب الأول : بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في حديثه عن الجماع وما يتعلق به :

تعددت آيات القرآن التي تناولت الممارسة الجنسية بين الزوجين ، وتنوعت ألفاظها واختلفت سياقاتها بحسب موضوعاتها ومقاصدها ، وكلها حافظت على طابع القرآن

وذوقياته الرفيعة في الحديث عن ذلك ، ولم تصرح آياته بلفظ الجماع مطلقاً في جميع المواضع والمواضيع التي تحدثت عن ذلك ، إنما استخدمت عدة ألفاظ بعدة صيغ وأساليب كما يلي:-

أولاً : استخدام الكناية والتعريض بدلاً عن التصريح المباشر

ويتضح هذا في عدة آيات ، كما في قوله تعالى : (**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم ...**)[٢٠] قال ابن جرير رحمه الله ((يعني تعالى ذكره بذلك : نساؤكم مزدرع أولادكم ، فأتوا مزدرعكم كيف شئتم ، وأين شئتم ، وإنما عني بالحرث المزدرع ، والحرث هو الزرع ، ولكنهن لما كن من أسباب الحرث جعلن حرثا ، إذ كان مفهوماً معنى الكلام ... ثم قال في تفسير بقية الآية ... والإتيان في هذا الموضع كناية عن اسم الجماع)[٢١] وقال ابن عاشور رحمه الله : هذا من "الكنايات اللطيفة والتعريفات المستحسنة ، وهذه أشباهها في كلام الله آداب حسنة ، على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ، ويتكلفوا مثلها في محاورتهم ومكاتبتهم ..."[٢٢].

إن المتأمل في الآيات السابقة تتضح له بلاغة التعبير القرآن في حديثه عن الممارسات الجنسية بين الزوج وزوجته من خلال استخدامه لفظ (فأتوا) بدلاً من التصريح بالجماع وما في معناه ، ومن خلال مجيئه بلفظ الحرث الذي يدلل دلالة - قاطعة على أن المقصود بذلك هو إباحة إتيان المرأة في قبلها – وليس في دبرها كما وهم بعض الجاهلين ، فإن انتقاء اللفظ القرآني مقصود لذاته ليدل على ما وضع لأجله.

ثانياً : استخدام العبارات المبهمة المفهمة :

من الآيات التي تحدثت عن الجماع ومتعلقاته ، وأدت المقصود بإفهام قارئها وسامعها ، ما جاء في قوله تعالى : {**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ...**[٢٣].

قال الشنقيطي رحمه الله : "والأظهر في معنى الرفث في الآية أنه شامل لأمرين :

أحدهما : مباشرة النساء بالجماع ومقدماته

والثاني : الكلام بذلك "[٢٤] وقال المراغي : "وقد علمنا الله النزاهة في التعبير عن هذا الأمر حين الحاجة إلى الكلام فيه بعبارات مبهمة كقوله : لامستم النساء ، أفضى بعضكم إلى بعض، دخلتم بهن ، فلما تغشاها حملت .."[٢٥] وقال سيد قطب رحمه الله بعد أن شرح معنى الرفث بنحو ما قلنا: "ولكن القرآن لا يمر على هذا المعنى دون لمسة حانية رفافة ، تمنح العلاقة الزوجية شفافيةً ورفقاً ونداوة ، وتنأي بها عن غلظ المعنى الحيواني وعرامته ، وتوقظ معنى الستر في تسيير هذه العلاقة[٢٦] .

ثالثاً : استخدام أسلوب الاستعارة والتشبيه :

يظهر هذا الأسلوب في كثير من الآيات ، كما في بقية الآية السابقة في قوله تعالى : ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾[٢٧] قال صاحب روائع البيان بعد ذكره عدة لطائف في تفسير الآية : (اللطيفة التاسعة : عبر المولى عزوجل عن المباشرة الجنسية التي تكون بين الزوجين بتعبير سام لطيف ، لتعليمنا الأدب في الأمور التي تتعلق بالنساء

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾فالتعبير هنا على طريقة الاستعارة ، والمراد اشتمال بعضهم على بعض كما تشتمل الملابس على الأجسام)[٢٨].

وقال الشيخ عطية محمد سالم : (وانظر قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ وكيف غطى وأخفى في هذا الأسلوب ما يستحى منه ، وأبرزه بلباسه في التشبيه بما يتقى به ، ومدى مطابقة معنى اللباس بحاجة كل من الزوجين للآخر ..)[٢٩] .

رابعاً : التنويع في الألفاظ والسياقات :

أعتمد عليه القرآن في التعبير عن عملية الممارسات الجنسية بين الزوجين وما يستحيا من ذكره ما جاء في آيات كثيرة مبثوثة في كتاب الله حيث يشير القرآن إشارات متعددة متنوعة إلى الممارسة الجنسية بين الزوجين بألفاظ يلفها الحياء والستر والتعفف. وسياق يتجلى فيه البعد عن كل كلمة بذيئة فاحشة ، أو فضة غليظة ، أو نابية ممجوحة ، وبأسلوب بليغ لا يثير الشهوات ، ولا يحرك مكامن الغرائز الجنسية ، ولا يخرج القارئ والسامع عن الأدب والحياء ، أو يحرجه عند قراءة تلك العبارات وسماعها وبما لا يخدش عفة كل عفيف وعفيفة ، وبطريقة تحفظ اللسان من قبيح العبارات ، وسيئ الكلمات ، ونكارة الألفاظ ، وفحش القول ويتضح هذا في الآيات التالية:

- في قوله تعالى : ﴿ فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ ﴾[٣٠]

- وقوله : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٣١].

- وقوله جل شأنه في سياق حديثه عن تجويزه مجيء الرجل زوجته ليالي الصيام :

﴿ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[٣٢] .

- وقوله جل في علاه : {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ }[٣٣].

- وقوله عز من قائل : {وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ، وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً }[٣٤].

- وقوله تعالى : {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً }[٣٥].

- وغيرها من الآيات ، ونختم بقوله سبحانه وتعالى : {... وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً ... }[٣٦].

نلاحظ في كل الآيات السابقة أن الله تعالى الستير يعبر عن خصوصيات العلاقة الزوجية من نكاح وما يتعلق به ، بأسلوب خاص مقصود متميز في اختيار ألفاظه ، وصياغة عباراته وتحديد سياقاته ، بتنويع الكلمات تجديداً لذهن القارئ والسامع ، وإظهاراً لبلاغة القرآن وفصاحته ، وجرياً بألفاظه وعباراته على الذوقيات الرفيعة الراقية والأدب الجم العظيم ، كما هي كل آيات القرآن الكريم .

إن كل الآيات السابقة تتحدث عن الممارسة الجنسية بين الزوج وزوجته ، لكنها لم تصرح بالجماع ولا في لفظ واحد ، الذي هو مقصد ومقصود النكاح بين الزوجين ، بل تارة تعبر عن النهي عن نكاح الحائض بلفظ ﴿ فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِۖ ﴾ ولفظ (**وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ**) وتارة تشير الآيات إلى لفظ الجماع بالمباشرة أو الغشي أو الإفضاء أو الملامسة ، أو الدخول ، ونحوها من الألفاظ ، وكلها ألفاظ في غاية التلميح والتأدب والسمو ، وفي سياقات وعبارات تهدي للتي هي أقوم ، وتهذب سلوك الأمم ، وتضع قواعد وأسس راسخة لأساليب الخطاب الجنسي الراقي. دون تصريح بألفاظ الجماع أو كشف وتعرية لمواضع العورة .

المطلب الثاني : بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في حديثه عن الطلاق بين الزوجين والملاعنة بينهما :-

لا يزال القرآن الكريم – كما هو منهجه – يحتفظ بطابعه الخاص الرفيع وذوقياته العالية في حديثه عن خصوصيات الزوجين ، سواء في حال الاتفاق – كما سبق ذكره- أو في حال الافتراق كما نبينه هنا ، والفراق بين الزوجين قد يكون بطلاق ، أو بتفريق وغيره كما في الملاعنة بينهما ، ونبدأ بشرح الحالة الأولى :

أولاً : أدب القرآن في حديثه عن الطلاق بين الزوجين :-

تعددت آيات الطلاق في القرآن الكريم ، وبعضها تناولت أو أشارت إلى ما كان بينهما من المعاشرة الجنسية الخاصة ، ولكن بأدب جم ، ويتضح هذا من قوله تعالى: **{لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ ، {وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** [٣٧].

عبر المولى عزوجل في هاتين الآيتين عن مباشرة الرجل زوجته أو عدم مباشرته لها بلفظ (**تَمَسُّوهُنَّ**) وهذا اللفظ كما هو معلوم ومحسوس أنه لفظ لطيف خفيف سهل رقيق حتى في مخارجه ومعناه ودقة حروفه ودلالته ، ولم يصرح القرآن بألفاظ الجماع ، قال القاسمي : (وإنما كنى تعالى بقوله : (**تَمَسُّوهُنَّ**) عن المجامعة ، تأديباً للعباد في اختيار أحسن الألفاظ فيما يتخاطبون به)[٣٨].

ثانياً : أدب القرآن في حديثه عن الملاعنة بين الزوجين :

إن كلام الله تعالى البالغ غايته في الرفعة وعلو الشأن في التعبير السامي يستمر في ذلك حتى في أشد حالات النزاع بين الزوجين ، وذلك كما هو عند التلاعن بينهما ، ويتضح هذا من قوله تعالى في آيات الملاعنة : **{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن**

لَّهُمْ شُهَدَاء إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ، {وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ}[٣٩] ذكر ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير ما نصه : (هو الرجل يرمي امرأته بالزنا)[٤٠] أو يرميها باللواط[٤١] .
وقال القرطبي : (عام في كل رمي ، سواء قال : زنيت أو زانية أو رأيتها تزني أو هذا الولد ليس مني فإن الآية مشتملة عليه)[٤٢] .
وهنا نلاحظ أن القرآن الكريم عبر عن اتهام الزوج لزوجته بفاحشة الزنا بلفظ (يرمون) .
ثم حذف اللفظ المقصود أو الفعل المذموم ، ويمكن تقديره هنا بـ(فاحشة الزنا) إننا نجد أن القرآن الكريم قد تحدث عن الفحش والفواحش بشكل عام – كما هو في آيات أخرى- فصرح بألفاظها الصريحة كالزنا ونحوه ، ولكنه لم يفعل هذا في مقام حديثه عن الزواج الذي أسس على التقوى من أول يوم ، وقام على الحق والخير ، والطهر والعفاف ، فإنه حتى وإن عبر عن اتهام الزوج لزوجته بفاحشة الزنا ، فلا يزال القرآن الكريم يحافظ على جو العفاف والتعفف ، فلا يصرح بالزنا ونحوه ، بل يكتفي بإطلاق كلمات تفهم إشاراتها ، وتقدر بقية عباراتها المحذوفة قصداً ، وهذه لطيفة قرآنية تؤكد منهج القرآن في ستر كل قبيح والتعبير الأجمل عن الفعل الأقبح ، والصياغة المحمودة للأفعال المذمومة .
إننا نلاحظ أن القرآن الذي ينكر فاحشة الزنا يتنكر لذكر هذا اللفظ في معرض حديثه عن الحياة الزوجية حتى وإن شابتها الشوائب واشتدت حالات النزاع فيها وبلغت منتهاها بالتلاعن بين الزوجين .

المبحث الثالث : بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة في حديثه عن الممارسات الجنسية المحرمة :

تحدث القرآن الكريم عن كثير من الممارسات الجنسية المحرمة ، تحدث عن التحرش الجنسي والاغتصاب ، والفتنة والإغراء والإغواء للوقوع في الفاحشة ، وتحدث عن البغاء والزنى الذي يعني إيلاج ذكر في فرج أنثى ، وتحدث عن اللواط (عمل قوم لوط) الذي يعني إيلاج ذكر في دبر ذكر مثله أو أنثى ، وتحدث عن الخليلات والصديقات والأخلاء والأصدقاء الذين يمارسون الفاحشة ، لكنه في حديثه عن هذا كله وأمثاله عندما ما يتحدث عن الممارسة الجنسية والأفعال المحرمة منها ، لم يأت بلفظ واحد يهبط بالقرآن عن مستواه الرفيع العالي – وإن كان قد ذكر مسمى الزنا ، بل تناولها جميعاً بطهارة في انتقاء الكلمات وصياغتها ، تجلت في ذلك كله بلاغة الكلمة في التعبير القرآني وأدبها بطريقة لا مثيل لها كما يتضح من المطالب التالية :-

المطلب الأول : بلاغة القرآن وأدبه الرفيعة في حديثه عن التحرش الجنسي بيوسف عليه السلام :

سجل القرآن الكريم حادثة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام ، وسعيها جاهدة للإيقاع به في الفاحشة معها ، بعد أن فتنت به فتنة عظيمة ، وبذلت ما في وسعها لجره للافتتان بها ، وبدأت معه ما يسمى في عصرنا الحاضر بالتحرش الجنسي ، كما قال تعالى : {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ، وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ ، فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ، يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ، وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ، فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ، قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ ، قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[٤٣] .

ففي هذا المقطع الطويل يبرز أدب القرآن الرفيع في حديثه عن مشاهد من الإغراءات الجنسية ، والممارسات المغرية ، والمثيرة للغرائز ، ورغم قوة تلك المشاهد والحوادث أو الوقائع الجنسية ، إلا أن كلماتها وعباراتها القرآنية ، المعبرة عنها ، بل

وطريقة صياغتها ، لا تحدث شيئاً من الإثارة الجنسية لدى قارئها أو سامعها مطلقاً ، ولا يتبادر إلى الذهن أنها خرجت عن العفة والتعفف والطهر والنقاء .
فنحن نلاحظ أن الآيات السابقة تنوعت ألفاظها الدالة على النكاح والجماع أو المعاشرة الجنسية المحرمة والدعوة إليها ، ولكنها لم تصرح بشيء من ذلك ، بل جاءت ألفاظها تشير إشارة إلى هذا الفعل بشتى الطرق كما يلي:-

أولاً : انتقاء الألفاظ الدالة على إرادة الفاحشة والعزم عليها دون التصريح بها :-

تحدث القرآن الكريم عن محاولة امرأة العزيز الإيقاع بيوسف عليه السلام في فاحشة الزنا معها ، لكنه لم يصرح بذلك مطلقاً بل استخدم عدة أساليب ، وانتقى عدة ألفاظ ، وصاغ عبارات عدة ، لشرح ذلك ، دون وصف الفعل صراحة ، ومن ذلك استخدامه بعض الألفاظ الدالة على إرادة الجماع والعزم عليه ، وهذا كما في قوله تعالى عن امرأة العزيز : {**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ...**}[٤٤] ، أي (على نفسها وعلى يوسف في أمر الجماع) كما قال أهل التفسير[٤٥] فنلاحظ هنا أن الآيات القرآنية لم تصرح بلفظ الزنا الذي أرادته المرأة من يوسف عليه السلام ، وسعت بكل جهدها لتحقيقه ، بل جاءت الآيات بلفظ المراودة ، وأصل المراودة الإرادة والطلب برفق ولين[٤٦] ، وهذا اللفظ يوحي بالمخادعة والحرص والإلحاح كما قال المفسرون[٤٧] ، وقد تكرر هذا اللفظ بعدة صيغ في القرآن في سورة يوسف ، وعدة اشتقاقات، وكلها دالة على أن المقصود به هو إرادة الجماع والنكاح لا سواه ، فتارة يسجل القرآن قول يوسف عليه السلام دفاعاً عن نفسه أمام عزيز مصر عندما افترت عليه امرأة العزيز إرادته السوء بها ، قائلاً : (**هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي**)[٤٨] وتارة يذكر القرآن مقالة النسوة في المدينة كما قال سبحانه على لسانهن (**امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ**)[٤٩] ، وتارة يكرر القرآن مقالة امرأة العزيز مرة ثانية أمام النسوة قائلة : (**فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ**)[٥٠] ففي كل هذه المواضع يستخدم القرآن لفظ المراودة بدلاً من التصريح بالزنا والنكاح أو الجماع ليبقى جو القرآن صافياً نقياً من كل الألفاظ التي تعكر صفاءه ، وتتعارض مع كل أدب وحياء وعفة.

ثانياً : وصف المشاهد المعبرة عن الإعداد للفاحشة والمطالبة بها دون ذكرها :-

بلغ القرآن الكريم مبلغاً عظيماً في التصوير للأحداث ، والتعبير عن الأفعال ، لدرجة أن القارئ لكلام الله يكاد يتخيل نفسه يشاهد الحدث ، أو يعيش فيه ، ويستشعره بكل جوارحه ، وربما يثير فيه عواطفه وأحاسيسه وانفعالاته ، وهذا كثير في آيات القرآن، ومن ذلك وصفه لسلوكيات امرأة العزيز وتصرفاتها لإرواء شهوتها ، وإشباع نهمها وغريزتها الجنسية من يوسف عليه السلام ، ولكن دون أن يهتك الأستار، أو يفضح الأسرار، ويصرح بالعبارات التي تخدش الحياء ، وتكشف العورات ، ويتضح هذا جلياً من تعبيره سبحانه عن الحالة النفسية ، والتصرفات الفعلية التي سادت مشهد امرأة العزيز ، وسعيها للوقوع في الفاحشة ، وإيقاع يوسف عليه السلام بها ، كما قال تعالى عنها {**... وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ...**}[٥١].
جاء في قراءة أخرى (**هيت لك**) بكسر الهاء ، وفي قراءة ثالثة (**هَيتُ لك**) بفتح الهاء وضم التاء ، وفي قراءة رابعة (**هيئتُ لك**) بسكر الهاء وضم التاء مهموزاً وعلى كل

القراءات[٥٢] فإن المفهوم منها أنها هيأت نفسها له ، ودعته إلى نكاحها[٥٣] ، بل وحشته على ذلك ، والقرآن الكريم لم يصرح أبداً بلفظ النكاح والجماع (الزنى) ، تحاشياً من استخدام ألفاظ وعبارات لا تناسب مقام السمو والطهر الذي انتهجه القرآن في مثل هذه الأحوال.

ثالثاً : تبيين مدى بلوغ الثورة الجنسية منتهاها دون التلفظ بفحش القول :-

تمر بنا في سورة يوسف مواقف ومشاهد تبين مدى ما وصلت إليه امرأة العزيز من الشغف بيوسف عليه السلام ، وسعارها الجنسي المتقد ، وجنونها الشهواني الغريزي، ويعبر القرآن الكريم عن ذلك كله بأسلوب فريد رائع يؤدي المطلوب دون أن يحرك ساكنا في جسد قارئ هذه السورة أو سامعها ، نجد هذا بارزاً في قوله تعالى عن يوسف وامرأة العزيز في بيان مدى ما وصلت إليه الحالة الجنسية المستعرة ، {**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** }[٥٤]. اختلف المفسرون اختلافاً كبيراً في المقصود بهم يوسف عليه السلام ، وتوضيح المعنى الراجح بشأنه ، وتبرئته مما افتراه عليه بعض أهل الكتاب ، وغلط فيه بعض أهل التفسير[٥٥]، والذي يَعنينا هنا بيان التعبير القرآني عن قوة وشدة التوتر والاستعداد النفسي لامرأة العزيز ، بل وإقبالها الجسدي العارم على يوسف ، وجهادها الكبير وهي تراود فتاها عن نفسه، لتروي ظمأها منه ، وتقضي شهوتها ونهمها فيه ، حيث كشف القرآن عن بلوغ ثورتها الجنسية منتهاها ، بالمجيء بلفظ **(همت به)** دون التصريح بمقصود همها وتفاصيله ، أو التلفظ بفحش القول ، قال أهل التفسير في معنى **(همت به)** : (همت بيوسف حين استلقت على فراشها للجماع)[٥٦] .

ويتضح بلوغ همها الجنسي مبلغاً عظيماً من بقية الآيات ، قال تعالى : {**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ ...** }[٥٧] .

ورغم هذا المشهد القوي بتفاصيله ودلالاته ، إلا أن القرآن الكريم قد أعرض عن ذكر ألفاظ الفحش والتفحش ، واكتفى بما دل عليه من لفظ الهم ، وهكذا هو كلام الله في تبيينه كل المواقف الحرجة ، ووصفه لكل المشاهد الفاضحة ، بأسلوب هادئ رقيق رفيع ، ساتر .

رابعاً : التعبير عن الفاحشة بوصفها الدال على قبحها وفداحتها :

من المسلم به أن القرآن الكريم يأتي بألفاظه بطريقة هادفة مقصودة تؤدي أكثر من معنى في وقت واحد ، وبأبلغ وأقوى العبارات والصياغات ، وهذا ما نجده بوضوح في تعبيره عن الفاحشة (الزنا) في سورة يوسف بلفظ وأسلوب يحقق النفور منها ، ويبين قبحها وكبير إثمها ، حيث قال سبحانه عن يوسف عليه السلام مبيناً فضل الله عليه ، {**... كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** }[٥٨]، ذكر ابن القيم أن مقصود السوء العشق ، ومعنى الفحشاء الزنا[٥٩] ، وقال الشنقيطي: (السوء مقدمات الفاحشة كالقبلة ، والفحشاء الزنا)[٦٠] ، وأيا كان معنى السوء ، فإن المفسرين قد اتفقوا أن معنى الفحشاء في هذه الآية الزنا ، وهذا اللفظ قد أعرض القرآن الكريم عن ذكره هنا ، بل وعن ذكر ألفاظ العشق والقُبلة ونحوها ، وإنما جاءنا بلفظ (السوء والفحشاء) للإشارة إلى معانيها المستقبح ذكرها في كلام الله وكتابه ،

والفحشاء هو ما فحش من المعاصي وكبرُ ، وعظم جُرمه ، وخطره ، وعقابه ، قال أبو السعود (والفحشاء الزنى لأنه مفرط في القبح)[٦١] .
إننا نجد أن القرآن الكريم يؤثر ذكر لفظ (السوء) في كثير من مواضعه ، على ذكر الألفاظ النابية الشاذة كما قال تعالى : {**لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ ...**}[٦٢] .
للتعبير عن المعاني المذمومة ، المستقبحة عقلاً ، كقوله تعالى على لسان امرأة العزيز لزوجها : {**... قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** }[٦٣] . قال الشوكاني رحمه الله : (والمراد بالسوء هنا الزنا)[٦٤] لكنها حكمة الله باختيار أعذب الألفاظ وأجملها ، وأكثرها تهذيباً لإفهام خلقه ما أنزله إليهم من كتاب وحكمة.
خامساً : الاعتماد على حذف ألفاظ الفحش والتفحش بعد ذكر ما يشير إليها :-
لا يزال القرآن الكريم صاحب الجمال في مضمونه وأهدافه وصياغة آياته وانتقاء عباراته ، لايزال يتفنن في إخفاء كل ما يخدش الحياء ، ويفسد الفطرة ، ومن ذلك اعتماده وهو يتحدث عن الفحشاء ، والفحش والتفحش على الحذف والإضمار والتضمين والطي والاختصار والإجمال ، ونحو ذلك ،
يقدم ذلك كله وأمثاله على عكسه ونقيضه من ذكر ، وإظهار ، وتصريح ، ونشر ، وبسط ، وتفصيل ، ونحو ذلك ، مكتفياً بما سبق الحديث عنه وأسلف ذكره مما يشير إليه ، ومن هذا ، ما جاء في قوله تعالى على لسان امرأة العزيز تهديداً ليوسف {**... وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ** }[٦٥] . وتقدير بقية الآية (ولئن لم يفعل ما آمره من الزنا أو الفاحشة) ليسجنن ، إلا أن القرآن حذف هنا ما قدرناه وذكرناه ، كونه سبقت الإشارة إليه ، والحديث عنه ، وحتى لا يكرر أو يطنب دون حاجة ، وتحاشياً من ذكر الألفاظ التي يكون سترها أفضل من كشفها ، ومواراتها أولى من إظهارها واكتفاءً بالإشارة بدلاً من طول العبارة .
ومثل ما سبق ما جاء في دعاء يوسف لربه أن يعصمه من فتنة الفحشاء وكيد أهلها مؤثراً السجن على الفاحشة كما قال تعالى : {**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ** }[٦٦] . لم يصرح القرآن بمضمون (يدعونني إليه) ولا بمضمون (كيدهن) لكنه مفهوم من سياق الآيات السابقة ، وموضوعها الذي دارت حوله ، وهو مراودتهن إياه على نفسه بالزنا كما قال أهل التفسير[٦٧] ، لقد حذف القرآن ألفاظ الفحش والتفحش وذكر ما يشير إليها من ضمائر الإشارة لما سبق ذكره كما جاء في قوله : (**يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**)[٦٨] .
وخلاصة القول : أن آيات التحرش الجنسي بيوسف عليه السلام من امرأة العزيز في سورة يوسف قد بلغت أكثر من عشر آيات ، وقاربت الصفحتين تقريباً إلا أنها رغم طولها وتفاصيل أحداثها وحديثها عن امرأة العزيز ونسوتها ، اللائي حاولن إيقاع يوسف في الفاحشة – فاحشة الزنا – هذه الآيات لم تصرح أبداً في ثناياها بألفاظ الفحش والزنا وما يتعلق به ، بل كانت كلها تأتي بألفاظ دالة عليه ، أو مشيرة إليه ، بكناية وتعريض وصفة ، ونحو ذلك ، وهذا يؤكد تعفف النص القرآني أثناء حديثه عن الجنس الإنساني الغريزي عن كل ما لا يليق ذكره والتصريح به .

إن القارئ لسورة يوسف ، والسامع لها ، والمتأمل لقصته ، والمتدبر لأحداثها مع نسوة مصر مهما كرر قراءتها وسماعها وتدبرها ، يجد نفسه يتمتع بمشاهدها وتفاصيلها ، ويأخذ العظة والعبرة منها ، دون أن تثار فيه غريزته ، أو تشتعل شهوته، رغم أن بعض هذه الآيات قد شرح تفاصيل ما وقع في غرفة امرأة العزيز من نزع الثياب، واستلقاء على الفراش ، وزينة فاتنة ، ودعوة ماجنة ، ومع هذا كله فكما أن الله تعالى قد عصم يوسف عليه السلام من التأثر بهذه الفتنة كلها ، وحفظه من الوقوع في الفاحشة ، فإنه سبحانه قد عصم كل قارئ لسورة يوسف وقصتها من التأثر السيء غير المحمود عند قراءته لأحداث الفتنة والإغراء فيها ، وتأملها ، وتخيله لمشاهدها ، كما تفعله وتتسبب فيه القصص الغرامية ، أو العبارات الجنسية ، التي يكتبها البشر في مؤلفاتهم أو يسجلونها في وسائل إعلامهم أو يرسمونها في عقولهم ، ذلك أن القرآن كلام الله الذي {**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**} [٦٩].

المطلب الثاني بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في حديثه عن الاتهامات الجنسية الباطلة

كما أن القرآن الكريم قد حافظ على الجو الإيماني العفيف، وهو يتحدث عن اتهام الزوج لزوجته بالزنا ، وقذفه لها بالفاحشة في آيات الملاعنة بينهما ، فإنه كذلك يحرص كل الحرص وهو يسرد قصص الأبرياء السابقين الذين اتهموا بطهارتهم وعفتهم ، وطعنوا في عرضهم وشرفهم ، يحرص على تسجيل ذلك وسرده وتصويبه بأسلوب بليغ ، يحقق العظة والعبرة ، ومنهج سام يربأ بكلام الله أن يهبط إلى الأدنى وهو يتحدث عن القضايا الدنيوية والمسائل الدنيا ، الذميمة الوضعية ، فالقرآن الكريم يتناولها بأسلوب عال رفيع رائع ، وهذا ما تجلى بشكل كبير في قصة مريم عليها السلام مع ولدها عيسى ، وقصة الإفك التي اتهمت فيها عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، كما يتضح من الفقرتين التاليتين .

أولاً : بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في صياغته لقصة مريم وولادتها بعيسى عليهما السلام .

تناول القرآن الكريم قصة مريم وعيسى عليهما السلام في أكثر من سورة وموضع ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : {**إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ، قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**} [٧٠].

وقال تعالى في موضع آخر : (**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً ، فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً ، ، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً ، قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً ، فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً ، فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ**

الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً ، فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ، وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ)[٧١].

وقال تعالى في موضع ثالث : {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ }[٧٢].

هذه أهم الآيات التي تناولت قصة مريم وولادتها بعيسى عليهما السلام – بدون أب ، وهذا الأمر لم يَرُق لقومها في زمانها ، ولم تقبله عقولهم ، فكذبوه ، وأنكروه ، بل آذوا السيدة مريم عليها السلام باتهامها بالوقوع في الفاحشة حتى حملت بعيسى ابن مريم ، فلنتأمل النصوص القرآنية السابقة في سرد هذه المشاهد ، ومعالجة هذا الافتراء على مريم عليها السلام ، بأعذب العبارات المهذبة ، وألطف الكلمات الرقيقة الراقية ، ولن نخوض في موقف أهل الكتاب من هذه القضية إنما البحث هنا يدور حول بلاغة التعبير القرآني في صياغة قصة مريم عليها السلام وولادتها لعيسى ، فعند التأمل في الآيات السابقة نجد الآية الأولى تخاطب فيها مريم عليها السلام ربها {قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ...}[٧٣]. وتقول في الآية الثانية {... أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً }[٧٤] فقد عبرت مريم عليها السلام عن حملها بدون نكاح رجل بلفظ {وَلَمْ يَمْسَسْنِي} وقد سبق شرح ما في هذا التعبير من عفة ولطافة وذوقيات رفيعة ، بدلاً من التصريح بالجماع ، بما يغني عن إعادته هنا وعندما نتأمل الآيات الأخرى المتعلقة بالموضوع ، والله عزوجل يسجل اتهامات أهل الكتاب في زمانها لها بالوقوع في الفاحشة حتى حملت ، نجد النص القرآني لا يصرح بشيء من ألفاظ الزنى أو الجماع ونحوه ، بل كما قال تعالى في معرض حديثه عن جرائم أهل الكتاب وكفرهم بآيات الله ، وغير ذلك قال : {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً }[٧٥].

والمعنى اتهموها بالزنا وقذفوها به وهي منه براء[٧٦] ، لكن القرآن يعرض عن ذكر لفظ الزنا أو الفاحشة إلى سواه ، فيذكر لفظ البهتان الذي يعني القول أو العمل الذي لا يُتوقع ولا يوجد له جواب كما قال أهل التفسير[٧٧] ، فهو (الخبر الكذب الذي يبهت السامع)[٧٨].

إن القرآن يستخدم هذا اللفظ لعدة مقاصد بلاغية وأدبية ، منها الإعراض عن فحش القول ، ومنها بيان أن زعم قومها فيها كذب ، ومنها تعظيم وتهويل افتراءهم عليها ، وغير ذلك .

ثانياً : بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في ذكر حادثة الإفك وتبرئة عائشة عليها السلام:-

تناول القرآن الكريم حادثة اتهام عائشة أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاحشة، في عشر آيات، في عشر آيات من سورة النور هي قوله تعالى : {إِنَّ

الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ، لوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ، وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ، وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ، يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ، وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)[٧٩] .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن سبب النزول ، وما فيها من أحكام وآداب ونحو ذلك ، إنما القصد بيان أدب القرآن وسمو ألفاظه وتعبيراته عن هذه الحادثة ، فمن المعلوم أن المقصود بـ (الإفك) الوارد في الآيات هو إتهام عائشة رضي الله عنها بالوقوع في فاحشة الزنا ، والإفك هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء[٨٠] ، أو أشنع الكذب وأفحشه[٨١] ، وهو مشتق من الأفك بفتح الهمزة وهو قلب الشيء[٨٢] .

وإذا تأملنا الأسلوب القرآني في التعبير عن هذه الفاجعة بحق أم المؤمنين نجد أدباً رفيعاً وذوقاً عالياً في نصوص القرآن التي نزلت كما يلي :

١- الاستغناء بلفظ (الإفك) عما سواه من ألفاظ الفاحشة وما في معناها .

٢- المجيء بضمير الإشارة (الهاء) وهو في قوله : **{... لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ...**[٨٣] .

٣- المجيء بضمير الإشارة المتصل (الهاء) مرة أخرى في قوله تعالى : **{... وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ }**[٨٤] .

٤- المجيء بضمير الإشارة المتصل (الهاء) مرة ثالثة في قوله سبحانه وتعالى : **{لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ ...}**[٨٥] .

٥- ذكر اسم الإشارة المنفصل (هذا) في قوله سبحانه : **{... وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ}**[٨٦] .

٦- تكرار ذكر لفظ (إفك) كما في الآية السابقة .

٧- إثبات ضمير الإشارة المتصل في قوله : **{لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء ...}**[٨٧] .

٨- حذف موضوع الكذب في إخباره سبحانه عن الذين جاؤوا بالإفك بقوله : **{... فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ }**[٨٨] أي الكاذبون في اتهامهم لعائشة بالفاحشة.

٩- الاكتفاء بضمير الإشارة المتصل في قوله سبحانه : **{... لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }**[٨٩] .

١٠- إثبات ضمير الإشارة المتصل في قوله سبحانه : {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً ...}[٩٠] . وفي قوله : (**تَلَقَّوْنَهُ**) و(**به**) و(**تَحْسَبُونَهُ**) .

١١- ذكر ضمير الإشارة المنفصل في قوله تعالى : (وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ)[٩١].

١٢- إعادة ذكر ضمير الإشارة المتصل في قوله سبحانه : {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ...}[٩٢].

١٣- تكرار لفظ (هذا) ضمير الإشارة المنفصل في قوله عزوجل : {... قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ }[٩٣].

١٤- التعبير عن اتهام عائشة بالفاحشة بلفظ (**بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**) دون التصريح بالفاحشة كما جاء في قوله سبحانه : {... **سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**}[٩٤].

١٥- تكرار ضمير الإشارة (الهاء) في قوله سبحانه : {**يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** }[٩٥].

إننا نجد في كل الآيات السابقة أن القرآن الكريم تحدث عن الفاحشة – فاحشة الزنا- ورمي أم المؤمنين بها ، في أكثر من ستة عشر موضعاً ، ولم يصرح بذلك في أي موضع منها ، إنما كان يعتمد على اللفظ الدال على فاحشة الزنى ، والمبين كذب ذلك، وعظمته ، ووضوح زعمه ، وعقوبته ، كاستخدامه للفظ (إفك) سواء بالتعريف أوالتنكير ، ويعتمد على تكرار ضمائر الإشارة المنفصلة (هذا) أو المتصلة (الهاء) أكثر من مرة ، ليشير بذلك إلى هذه الفاحشة التي لم يصرح بها ، ولا مرة واحدة ، من أول الآيات إلى آخرها .

فهل بعد هذا الأدب القرآني والذوق الرفيع والبلاغة العالية أدب أعظم مما هو في كتاب الله ؟!

إن القرآن الكريم لم يكتف بإخفاء لفظ الفحش والزنا في هذه الآيات ، تعظيماً لمقام أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها ، وتنقية لكتاب الله من الألفاظ التي يمكن الاستغناء عنها فأفضل منها مما يشير إليها ، بل أخفى القرآن أسماء الذين جاؤوا بالإفك ليستر القول والقائل والمقول فيه وهي أمنا عائشة رضي الله عنها .

ويكشف الحكم والآداب التي تهم المسلمين ، وتهديهم سواء الصراط .

فكما أن الله تعالى قد طهر أمنا عائشة من كل دنس وسوء ، ونقاها من كل فحش وقبح، فإنه سبحانه قد صفى كتابه وكلامه من كل ما يطعن في عرضها وشرفها ومقامها العالي .

المطلب الثالث : بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في حديثه عن ممارسة الفواحش :

تحدث القرآن الكريم كثيراً عن الفواحش وكبائر المعاصي ، ومنها فاحشة الزنى ، وفاحشة اللواط ، بأسلوب فريد قيم ويتضح هذا من الفقرتين التاليتين :-

أولاً : أدب القرآن الرفيع في حديثه عن فاحشة الزنا :-

تحدثت آيات القرآن عن فاحشة الزنا كما يلي :-

١- إما أن تصرح بلفظ (الزنى) وبعض مشتقاته كاسم الفاعل (الزاني) و(الزانية) أو الفعل المضارع (يزنون – يزنين) وقد تبين من خلال حصر واستقراء آيات الزنى أن القرآن الكريم لم يزد على الألفاظ المذكورة أعلاه – وإن كرر ، بعضها - .

- وهو كذلك قد أعرض صفحاً عن ذكرها بصيغة المخاطب (تزنون- تزنين).
- ولم يُصغ منها أسماء جمع وجموع (زواني – زناة) إنما كان يكتفي بالاسم المفرد منها .
- ولم يصرح بممارسة فعل الزنى إلا في موضعين اثنين فقط بصيغة الفعل المضارع ، وبصيغة الغائب كقوله تعالى في شأن الذكور المسلمين **{... وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ...}**[٩٦].

وقوله سبحانه في شأن الإناث المسلمات : **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ ... }**[٩٧].

٢- وإما أن يذكر هذه الجريمة بأوصاف تدل على قبحها وجرمها وفداحتها وحكمها الشرعي ، كما جاء في ذكره للفاحشة والفواحش في كثير من المواضع كقوله سبحانه: **{وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ ...}**[٩٨] وقوله سبحانه : **{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ ...}**[٩٩].

٣- أو أن يعبر عن الزنا بلفظ آخر يدل عليه :

كما جاء في قوله سبحانه : **{... وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً ... }**[١٠٠]. والمقصود بالبغاء هنا هو الزنا كما قال المفسرون[١٠١].

٤- أو أن يحذر من فاحشة الزنى بلفظ (لاتقربوا) كقوله سبحانه : **{وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً }**[١٠٢] وقبل أن نبين بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في حديثه عن الزنا نذكر .

ثانياً : أدب القرآن الرفيع في حديثه عن فاحشة اللواط :-

تناول القرآن الكريم موضوع اللواط وما يتعلق به في بعض آياته كما يلي:

١- إما أن يأتي بلفظ (لوط) دون أي اشتقاق له ، بل يذكره بالإضافة إلى غيره أو مفرداً كقوله تعالى : **{... لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ }**[١٠٣]. وقوله : **{فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ...}**[١٠٤].

وكما جاء في كثير من الآيات ، فلم يأت بلفظ (اللواط) بهذه الصيغة مطلقاً أي المصدر .

- ولم يصغ منه أفعال الممارسة الجنسية المحرمة (يلوط) أو (لاط) ونحو ذلك أبداً .

- ولم يشتق منه أسماء الفاعل لا بصيغة الإفراد (لوطي-لائط) ولا بصيغة الجمع (لوطة- لوطيون) .
- ولم يأت في القرآن بأسلوب المخاطب أو الغائب ، ولا بالإفراد أو التثنية أو الجمع .

٢- وإما أن يذكر هذه الجريمة بأوصاف تدل على حرمتها وشناعتها – كما فعل في فاحشة الزنى – كقوله تعالى على لسان لوط منكراً على قومه ومحذرا لهم {... **أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ** }(١٠٥).

وقوله داعياً قومه إلى الزواج ببنات زمانه بدلاً من ممارسة اللواط : {**قَالَ هَؤُلاء بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ** }(١٠٦). قال المفسرون : (أمرهم لوط أن يتزوجوا النساء ، وأراد أن يقي أضيافه ببناته)(١٠٧) .

- وبعد كل ما سبق من نصوص القرآن المتحدثة عن فاحشتي الزنا واللواط نجد أن القرآن الكريم تناول ذلك في غاية الأدب والألفاظ المهذبة والأسلوب الرائع كما يلي:-

١- اقتصر في حديثه عن الزنا واللواط على أقل الألفاظ ، واختصرها كثيراً بأعداد لا تقارن بحديثه عن الكفر والشرك وغير ذلك من كبائر المعاصي ، بل الاختصار واضح جداً وخاصة في حديثه عن فاحشة اللواط ، فلم يذكر مشتقات لفظ لوط) مطلقاً، ولم يصرح بممارسة هذا الفعل ولا بأسماء الفاعل والمفعول ، ولم يأت بمصدره ، ولم يذكر مثناه ولا جمعه ، ولا حاضره ولا غائبه. وكأن المناسب لهذا المقام هو الاختصار والاقتصار على الضروري فقط لتبيين الأحكام .

٢- اعتمد القرآن كثيراً في تعبيره عن هذه الممارسات بوصفها بأوصاف مشيرة إليها، دالة على قبحها وجرمها وحرمتها وكبرها ، دون التصريح بها ، إنما بتسميتها بالفاحشة أو الفواحش. أو (البغاء) المأخوذ من البغي و التجاوز بغير الحق .

٣- استخدم القرآن في تحذيره من هاتين الفاحشتين ، وتحريمهما ألفاظاً مهذبه ، لطيفة على الأسماع ، محافظة على الحياء مميزة للمؤمنين عن المجرمين في قوله تعالى : {**وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى ...**}(١٠٨). وقوله في إنكار لوط على قومه ممارسة فاحشة اللواط {**...إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ...**}(١٠٩). ودعوته لهم إلى التمتع بالحلال عن الحرام والاكتفاء بما شرع الله قائلاً : {**... هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ...**}(١١٠). وقال : {**قَالَ هَؤُلاء بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ** }(١١١).

فالملاحظ أن قوله : **(تأتون)** وقوله : **(فاعلين)** وقوله سبحانه قبل ذلك **(لا تقربوا)** كلها ألفاظ لا توحي أبداً بفحش القول أو نكارته ، وتدل على المقصود تحريمه والتحذير منه دون الحاجة للتصريح بالأفعال والممارسات الجنسية المحرمة.

وبهذا يكون الباحث قد انتهى من شرح بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة في حديثه عن الخصوصيات الزوجية والممارسات الجنسية حيث تبين لنا أن كلام الله قد بلغ الدرجات العُلى في عرض المحاسن وغيرها ، وشرح الحقائق وخفاياها .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على النبي الأمين .

(١) العنكبوت : ٤٣.
(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢٠٠/٢ باب جماع أبواب المبعث عن عكرمة رضي الله عنه ، انظر دلائل النبوة للبيهقي ، تحقيق د/ عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٨هـ-١٩٩٨م ، بيروت – لبنان.
(٣) لسان العرب لابن منظور ٤٨٦/١ للإمام محمد بن مكرم بن علي ، دار إحياء التراث العربي ، ط٣ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م بيروت –لبنان .
(٤) التعريفات للجرجاني ص٤٦ الشريف علي بن محمد ، دار الكتب العلمية ، ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، بيروت – لبنان .
(٥) الكليات للكفوي ص٢٣٦ ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني ، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، بيروت – لبنان .
(٦) التعريفات للجرجاني ص ١٧٤ .
(٧) لسان العرب لابن منظور ٩٣/١ مادة أدب .
(٨) الكليات للكفوي ص٦٨ .
(٩) لسان العرب لابن منظور ٢٦٨/٥ مادة رفع .
(١٠) لسان العرب لابن منظور ١٠٩/٤ .
(١١) الكليات للكفوي ص٤٢٣ .
(١٢) لسان العرب لابن منظور ١٠٧/٦.
(١٣) لسان العرب لابن منظور ٧٧/١٣ .
(١٤) الكليات للكفوي ص٨٧٤ .
(١٥) الكليات للكفوي ص٣٣٩، لسان العرب ٣١٣/٢.
(١٦) معجم اللغة العربية عالم المعرفة ٤٢١/٣ ، تأليف أديب اللجمي وآخرون ، مطبعة المحيط ، ط١، ١٩٩٥م ، بيروت – لبنان .
(١٧) انظر : الكافي معجم عربي حديث ص٣٤٣ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط١، ١٩٩٢م ، بيروت- لبنان .
(١٨) معجم اللغة العربية لأديب اللجمي ٤٢١/٣ .
(١٩) انظر معجم اللغة العربية لأديب اللجمي ٤٢١/٣ .
(٢٠) البقرة : ٢٢٣ .
(٢١) جامع البيان في تأويل القرآن ، ٣٩٨/٤ ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) ، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م ، بيروت – لبنان .
(٢٢) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٢٦٦/١ ، محمد الطاهر بن محمد (ت١٣٩٣هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م ، بيروت – لبنان .
(٢٣) البقرة : ١٨٧ .
(٢٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٣/٥، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (١٣٩٣هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م ، بيروت – لبنان .
(٢٥) تفسير المراغي ، الشيخ أحمد مصطفى المراغي ، ٧٨/٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط (بدون) د.ت – مصر .
(٢٦) في ظلال القرآن ١٧٤/١ ، سيد قطب إبراهيم ، دار الشروق ، ط (بدون) ، د.ت- القاهرة .
(٢٧) البقرة : ١٨٧.
(٢٨) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام ٨٤/١، محمد بن علي الصابوني .
(٢٩) تتمة أضواء البيان ٩٣/١ ، عطية محمد سالم .
(٣٠) البقرة: ٢٢٢ .
(٣١) البقرة: ٢٢٢.
(٣٢) البقرة: ١٨٧ .
(٣٣) الأعراف١٨٩ .
(٣٤) النساء:٢٠-٢١.

([٣٥]) النساء٢٣.
([٣٦]) النساء٤٣. - ونحوها في المائدة : ٦.
([٣٧]) البقرة٢٣٦- ٢٣٧ .
([٣٨]) محاسن التأويل ٢٨٠/٣ محمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ) ، وقف على طبعه محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٨-١٩٧٨م ، بيروت – لبنان .
([٣٩]) النور٦-٧ .
([٤٠]) تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٥٣٣ الإمام الحافظ محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي ، تحقيق أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية ، ط (بدون) ، دت، صيدا – لبنان .
([٤١]) سلسلة التفسير ١٨/٣٣ أبو عبدالله مصطفى العدوي المصري .
([٤٢]) الدر المنثور في التفسير المأثور ١٨٥/١٢ ، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت-٩١١هـ) تحقيق مركز هجر للبحوث ، دار هجر ، ط (بدون) ، ت١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ، مصر .
([٤٣]) (يوسف٢٢-٣٤) .
([٤٤]) يوسف : ٢٣ .
([٤٥]) الدر المنثور للسيوطي ١٦٢٠/٩ .
([٤٦]) يوسف :٢٣ .
([٤٧]) الدر المنثور للسيوطي ١٦٢٠/٩ .
([٤٨]) نفسه ونفس الصفحة .
([٤٩]) انظر : تفسير القرآن الحكيم – تفسير المنار ٢٢٧/١٢، محمد رشيد بن علي رضا (ت١٣٤٥هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. (بدون) ، ت ١٩٩٠م ، القاهرة – مصر .
([٥٠]) يوسف : ٢٦ .
([٥١]) يوسف :٢٣ .
([٥٢]) انظر : النشر في القراءات العشر ٣٣١/٢ ، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي ، الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ، أشرف على تصحيحه على محمد الصباغ ، دار الكتب العلمية ، ط (بدون) ، دت بيروت – لبنان.
([٥٣]) انظر : معالم التنزيل ٢٢٧/٤، محيي السنة أبو محمد بن الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ) ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر وآخرون ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٤ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م ، البلد (بدون).
([٥٤]) يوسف٢٤.
([٥٥]) انظر تفاصيل ذلك في : زاد المسير في عالم التفسير ٤١٥/٣ ، جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) ، و: مفاتيح الغيب ٩٢/١٨، للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ( ) ، دار الكتب العلمية ، ط(١) ، ت ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ، بيروت – لبنان .
([٥٦]) تفسير مقاتل بن سليمان ١٤٥/٢، أبو الحسن مقاتل بن سلمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي ، تحقيق أحمد فريد ، دار الكتب العلمية ، ط١ (١) ، ت ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ، بيروت – لبنان .
([٥٧]) يوسف٢٥ .
([٥٨]) يوسف٢٤.
([٥٩]) التفسير القيم لابن القيم ٧٠/٢ ، جمع وترتيب الشيخ محمد أويس الندوي .
([٦٠]) أضواء البيان ٢١٥/٢.
([٦١]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٤٢١/٣ ، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ) ، مطبعة (بيروت) ، دت ، البلد (بدون) .
([٦٢]) النساء : ١٤٨ .
([٦٣]) يوسف٢٥.
([٦٤]) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٢١/٤) ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠) .
([٦٥]) يوسف٣٢ .
([٦٦]) يوسف٣٣ .
([٦٧]) جامع البيان ١٤٤/١٣ للطبري .
([٦٨]) الدر المنثور للسيوطي ١٩١/٨ .
([٦٩]) فصلت ٤٢ .
([٧٠]) آل عمران٤٥-٤٧ .
([٧١]) مريم :١٦-٣٤ .

(٧٢) التحريم١٢ .
(٧٣) آل عمران٤٧ .
(٧٤) مريم٢٠ .
(٧٥) النساء١٥٦ .
(٧٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧٣/١٢ ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر ، شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ) ، تحقيق أحمد البردوني وغيره ، دار الكتب المصرية ، ط٢ ، ١٢٨٤هـ-١٩٦٤م – القاهرة – مصر.
(٧٧) التحرير والتنوير ٣٠٤/٤ .
(٧٨) نفسه ١٤٦/١٨ .
(٧٩) النور: ١١ - ٢٠ .
(٨٠) مفاتيح الغيب للرازي ٣٣٧/٢٣.
(٨١)التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٩٣/١٠ ، د. محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر) دار النشر (بدون) .
(٨٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٣٦/١٨.
(٨٣) النور١١ .
(٨٤) النور١١ .
(٨٥) النور١٢ .
(٨٦) النور١٢ .
(٨٧) النور١٣ .
(٨٨) النور١٣ .
(٨٩) النور١٤ .
(٩٠) النور١٥ .
(٩١) النور١٥ .
(٩٢) النور١٦ .
(٩٣) النور١٦ .
(٩٤) النور ١٦ .
(٩٥) النور١٧.
(٩٦) الفرقان٦٨ .
(٩٧) الممتحنة١٢ .
(٩٨) النساء١٥ .
(٩٩) آل عمران١٣٥ .
(١٠٠) النور٣٣ .
(١٠١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٥٤/٦ ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .
(١٠٢) الإسراء٣٢ .
(١٠٣) هود٧٠ .
(١٠٤) العنكبوت ٢٦ .
(١٠٥) الأعراف٨٠ .
(١٠٦) الحجر٧١ .
(١٠٧) جامع البيان للطبري ٩١/١٤ .
(١٠٨) الإسراء٣٢ .
(١٠٩) العنكبوت٢٨ .
(١١٠) هود٧٨ .
(١١١) الحجر٧١ .